

دروس مستلهمة من الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)



يحدّد الإمام الرضا (عليه السلام) ملامح الروح الرسالية التي ينبغي للمؤمن أن يعيشها في حياته في كلّ زمان ومكان يعيشه الإنسان، والتي تفتح أمام عينيه الآفاق الرحبة التي تنفتح على مسؤولياته في الدُّنيا والآخرة، فيقول (عليه السلام): «إنّ الإنسان عزّ وجلّ أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثة أُخرى: أمر بالصلاة والزكاة - والزكاة تشمل كلّ ما فرضه الله تعالى على الإنسان من حقوق مالية - فمن صلّى ولم يركّ - لم تُقبل منه صلاته - لأنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وحَبَسُ حقوق الإنسان عمّن أمر الله أن تُعطى له هو من المنكر والفحشاء، باعتبار أنّها تجاوزت للحدود.. والصلاة مدرسة تربي الإنسان على طاعة الله في كلّ شيء ممّا أمر به، وعلى البُعد عن معصيته ممّا نهى عنه - وأمر بالشُّكر له وللوالدين، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله - فمن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، لأنّ الشُّكر يعبر عن حالة نفسية وجدانية في التقدير لإحسان المنعم عليه واستجابته لفضله وتفاعله النفسي والعملي معه، يقطع النظر عن طبيعته وموقعه، وبذلك يكون امتناعه عن شكر المخلوق دليلاً على أنّه لا يعيش مبدأ الشُّكر في نفسه.. وأيُّ مخلوق يملك نعمةً على مخلوقٍ آخر أكثر من الوالدين؟ - وأمر باتقاء الله وصلة الرحم، فمن لم يصلِّ رحمه لم يتق الله عزّ وجلّ»، لأنّ الله أمر بصلة الرحم، ما يفرض على الإنسان القيام بذلك طاعةً لله، فمن لم يفتح على الأرحام بالصلة كان منحرفاً عن خطّ التقوى بانحرافه عن خطّ الطاعة لله في ذلك. وعنه (عليه السلام) قال: «مَنْ فرّج عن مؤمنٍ كرباً فرّج الله عنه يوم القيامة». فهذا هو النهج الإسلامي الأخلاقي الذي يفتح وعي الإنسان المؤمن على كربات المؤمنين، ليحمل همومهم، وليتحرّك بجهده الإنساني في تفريجها بما يملك من الخبرة والقوّة والانفتاح على الحلول الواقعية للمشاكل الإنسانية التي تثقل المرء وتكرهه. وعلى وجه الخصوص مساعدة الضعفاء، فعن ضرورة وأهميّة إعانة الضعيف، يقول (عليه السلام): «عونك للضعيف أفضل الصدقة»، فإنّك إذا أعنت الضعيف في ذلك كلّ شيء، فإنّ الله تعالى يكتب لك أجراً أفضل ممّا إذا تصدّقت عليه، لأنّ قيمة الصدقة أنّها تسدّ حاجته المالية، أمّا إذا أنقذته من ضعفه وأعطيته قوّةً من قوّةك، فإنّ هذه القوّة التي تعطيها له تمنحه الكثير من النتائج الطيّبة في حياته أكثر ممّا لو أعطيته مالاً. نريد أن نأخذ شيئاً من كلمات الإمام الرضا (عليه السلام)، حتى نستطيع أن نستفيد من دروسه في حياتنا الاجتماعية، حيث قال (عليه السلام): «ليست العبادة كثرة الصلاة والصيام، وإنّما العبادة كثرة التفكّر في أمر الله»، فليس المقياس في العبادة كثرة صلاتك وصومك، لأنّ الله ربّما تكثرت صلاتك وصومك من دون معرفةٍ ووعي، ومعنى العبادة الخضوع لله تعالى، ومسألة الخضوع مسألة تتصل بالعقل، فبمقدار ما

تعرف اﻻ أكثر في عقلك، بمقدار ما يخشع عقلك له سبحانه، والعبادة هي الخضوع ﻻ في قلبك، بأن يخشع قلبك لذكر اﻻ تعالى. فالإمام الرضا (عليه السلام) يطلب منّا أن نتفكّر في عظمة اﻻ من خلال عظمة خلقه في كلّ أسرار الخلق، وأن نتفكّر في زعم اﻻ علينا، فإذا ازداد تفكيرنا في ذلك كلّها، عندها تكبر معرفة اﻻ في عقولنا، فتخشع عقولنا لذكر اﻻ، وتكبر عظمة اﻻ في قلوبنا، فتخشع أيضاً قلوبنا لذكر اﻻ.. وعلى هذا الأساس، إذا عظم اﻻ في قلب الإنسان وعقله، تكون صلاته صلاة الإنسان الخاشع لربّه والخاصع بين يديه.. أمّا الإنسان الذي لا يعرف اﻻ، ولا تتربّى عظمة اﻻ في نفسه، فإنّه قد يصلّي، ولكنّه لا يعرف من صلاته أيّ معنى، لأنّ عالم العبادة عالمٌ داخلي، فعندما يصلّي عقل الإنسان وقلبه وأحاسيسه ومشاعره ولسانه وبدنه، فإنّه ينفّث على كلّ مسؤولياته أمام اﻻ تعالى. ختاماً، عاش الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) فكر وروحانية وانفتاح على الناس جميعاً، عاش (عليه السلام) هذا الخلق المتسامح المنفتح على الخير كلّها، وقبل ذلك وبعده، عاش الإمام (عليه السلام) مع اﻻ، حيث ينطلق مع اﻻ أوّلاً، من خلال محبّته ﻻ التي توحى بالمحبّة لعباد اﻻ ولكلّ خلق اﻻ. قال الإمام الباقر (عليه السلام): «مَن كان ﻻ مطيعاً فهو لنا وليّ، ومَن كان ﻻ عاصياً فهو لنا عدوٌّ، ولا تُنال ولايتنا إلاّ بالورع والعمل».